الآفاق الروحية للعبادة



إنّ القلب الإنساني دائم الشعور بالحاجة إلى ا□، وهو شعور أصيل صادق لا يملأ فراغه شيء في الوجود إنّ التلا الله السلة بربّ الوجود، وهذا ما تقوم به العبادة إذا أُديت على وجهها.. فالقلب فقير بالذات إلى ا□ من جهتين: من جهة العبادة.. ومن جهة الاستعانة والتوكل.. فالقلب لا يصلح ولا يفلح ولا ينعم ولا يسر، ولا يلتذ ولا يطيب، ولا يسكن ولا يطمئن، إ لا بعبادة ربّه وحده وحبّه والإنابة إليه. ولو حصل له كلّ ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن ولم يسكن؛ إذ فيه فقر ذاتي إلى ربّه - بالفطرة - من حيث هو معبوده ومحبّوبه ومطلوبه. وبذلك يحصل له الفرح والسرور، واللذة والنّيعمة، والسكون والطمأنينة. وهذا لا يحصل له إ له؛ فإنّه لا يقدر على تحصيل ذلك له إ "لا ا□، فهو دائما ً مفتقر إلى حقيقة (إ_يّاً اكْ نَعْبُدُ و و إِيّاتُ الله الله الله الفاتة / 5).

إنّه لا شيء أحبّ إلى القلوب من خالقها وفاطرها، فهو إلاهها ومعبودها، ووليها ومولاها، وربّها ومربّها ومدبّته نعيم النفوس، وحياة الأرواح، وسرور النفوس؛ وقوت القلوب، ونور العقول، وقرة العيون، وعمارة الباطن.. فليس عند القلوب السليمة والأرواح الطيّيبة، والعقول الزاكية، أحلى ولا ألذ ولا أطيب ولا أسر ولا أنعم من محبّته والأنس به والشوق إلى لقائه.

والحلاوة التي يجدها المؤمن في قلبه بذلك فوق كلَّ حلاوة، والنعيم الذي يحصل له بذلك أتم من كلَّ نعيم، واللذة التي تناله أعلى من كلَّ لذة.

إن " سعادة الإنسان وعز "ته كافية في العبادة، والعبادة هي التجارة التي لا يربح أحد منها غير الإنسان، فا تعالى هو الغني " المطلق، الذي لا تنفعه عبادة العابدين، ولا تضر "ه معصية المذنبين، ألا ترى إلى المُعلاّيم، حين يُوصي تلاميذه بالدرس والمطالعة، إن ما يقصد في ذلك فائدتهم وصلاحهم، ولا يعود عليه من نشاط المُجد "ين وفشل الكسالى نفعا ً ولا ضررااً!

العبادة هي طبع الإنسان وفطرته، وهو مجبول عليها في طينته، العبادة حاجة أصيلة في الإنسان لابد من إشباعها، لذلك فقد يهتدي إلى الطريق الصحيح والسبيل المستقيم، وهو صراط العبودية العالى، وفي هذا يكون الكمال والمنال وقد ينحرف عن الجاد ة، ويت جه إلى آلهة باطلة، فيكون الهلاك والخسران. ومن هنا جاءت بعثة الأنبياء (عليهم السلام) لتحمل معها معالم الهدى إلى الصراط الحق يقول الإمام علي (عليه السلام): «فبعث ال محم دا بالحق ليخرج عباده من عبادة الأوثان عبادته».. العبادة التي هي حضور أمام خالق الكون ومالكه، وجلوس على الموائد المعنوية التي جعلها ال تعالى لعباده، لا تُؤخذ إلا منه سبحانه، فكما أن عنوان البيت ي ُؤخذ من صاحبه، وكما أن الضيافة الصحيحة، هي التي يراعى فيها رغبة الضيف وذوقه، كذلك العبادة — سواء في شكلها وكيفية أدائها، أم في مضمونها ومحتواها — يجب أن تكون وفقا ً لما أراده ال وأمر به.